بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: إعلاء قيمة السعي والعمل

عبادة لا تنقطع

جهاد السعي والعمل والإتقان.. جسر العبور إلى التقدم والتمكين

قوموا إلى العمل كما قمتم إلى الصلاة

ماذا يفعل الموظف إذا أنهى عمله ولديه وقت فراغ؟

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢١ صفر ١٤٤٧هـ، الموافق ١٥ أغسطس ٢٠٢٥م
موقع صوت الدعاة

الحمد لله رب العالمين... نحمده على ما هدانا، ونشكره على ما أولانا، ونستغفره من ذنوبنا ومعاصينا، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسوله، وصفيه وخليله، نبيُّ الرحمة، ومُعلمُ الرفق، ومربي الأمة على كل خير.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
مولاي صلِّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا

اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد... أيها المؤمنون:

الكون كله يسعى ويعمل بلا ملل ولا كلل ولا كسل

إن رفعت بصرَك إلى السماء، أو أمعنت النظر في ذرة رمل أو تراب، ستُدرك أنَّ الكونَ كلَّه –وهو كتاب الله المنظور– كتابٌ مفتوحٌ، صفحاته كلها في سعي وعمل وحركة ونبض لا ينقطع.

فليس في هذا الوجود خمول ولا كسل، بل إنَّ كلَّ ذرةٍ فيه تؤدي مهمتها بدقةٍ مذهلة مدهشة، وفق نظام إلهي بالغ الإحكام من الذرّة إلى المجرة، في انسجام مهيب، لا يعرف التوقف أو العطل أو العطب أو الكسل... ويا له من إحكام عظيم، جلَّ الصانع العظيم (سبحانه وتعالى).

- **فالمجرات** تتحرك في إطار دقيق، رسمه الله (سبحانه وتعالى) لها... فلا تحيد عنه ولا تزيد في سعيها وتحركها... وكذلك الحال في كل الكواكب.
- **والشمس** تُشرق.. تَتحرك بنظام دقيق وموزون ومحكم، ثم تغيب هنا، وتُشرق هناك، وتسير في حركة دائبة دائمة متصلة بدقة وإبداع لتشرق من جديد في مواعيد دقيقة غاية في الانضباط.. لا تتقدم، ولا تتأخر، ولا تتوانى، منذ آلاف السنين... وتبث بأمر الله أشعتها، وضوءها، وحرارتها؛ لتستقيم بها الحياة، قال تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (يس: ٣٨-٤٠)، وقال: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (الأنبياء: ٣٣).
- **والقمر** يدور في فلكه، **والنجوم** تَسبح في مداراتها، وتُسبّح اللهَ خالقها ومُسيّرها، لا تَعرف فتورًا، ولا كسلا، ولا انقطاعًا، ولو توقفت لحظة واحدة لاختل ميزان الكون بأسره، وصدق الله العظيم القائل: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران: ١٩٠-١٩١)، وقال: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (يونس: ٥) .
- **والرياح** تتحرك بأمر الله (عز وجل) حاملة الخير، ورسائل النماء، تدفع السحب المحملة بالماء، **والمطر** ينزل في قطرات منتظمة، لا عبث فيها ولا فوضى، فيسقي الأرض العطشى، والأرض الموات ويبعث الخصب والنماء في كل مكان. **والماء** في دورته العجيبة يتبخر ويتكثف ويَسبح في السماء، وهو يُسبّح ربَّ السماء، ثم يجري في الأنهار والبحار، بلا كلل ولا ملل ولا انقطاع، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧).
- **وحتى الجماد** –الذي يظنّه البعض ساكنًا– مليء بالحركة؛ ففي قلب كل حجر ذرات تعمل، وإلكترونات تدور في مداراتها بسرعة خيالية، وفي أعماق كل ذرة تفاعلات متواصلة تحفظ وجودها. الصخور تتحلل ببطء، والرياح تنقل ذرات التراب من مكان إلى آخر، وكلها تؤثر وتتأثر في نظام متكامل.

• **وعالم النبات**، هو معمل إلهي يعمل بلا كلل ولا كسل ولا ملل؛ انظروا وتأملوا إلى بديع صنع الله الحكيم: الأوراق تمتص ضوء الشمس وتحوله إلى غذاء عبر عملية البناء الضوئي، والجذور تمتص الماء والأملاح والأسمدة وتوزعها في الجسد النباتي بدقة وإتقان. والنباتات تتنفس، وتبني خلاياها، وتنتج الأكسجين، وتتكيف مع بيئتها، كل ذلك بصمت ودأب بدون توقف...

• **وعالم الحيوان**، لا يعرفُ الكسلَ في دورة حياته؛ فالطيور تهاجر مئات الكيلومترات بحثًا عن الدفء، والرزق، والمأوي، والأمن. والنحل يعمل في جماعات منظمة ليصنع عسله ويحافظ على منظومة حياته وكينونته داخل الخلية. والنمل يبني بيته ويدخر طعامه قبل أن يحل الشتاء. والحيوانات تبحث عن قوتها، تبني أوكارها، ترعى صغارها، وتشارك في حفظ التوازن البيئي في هذه الحياة. حتى الميكروبات التي لا تُرى بالعين، تقوم بمهام حيوية في غاية الأهمية وبشكل لا يستقيم الكون بدونها!!.

إنَّ كلَ ذرة في هذا الكون الفسيح تعمل بإتقان، وكلّ كائن فيه يؤدي رسالته التي خلقه الله (تعالى) من أجلها بسعي وحركة ونشاط... ليبقى الكون الفسيح مدرسة تربوية كبرى؛ تُعَلِّمُنا أنَّ الحياةَ قائمةٌ على العمل المستمر، والسعي المستدام، والحركة المتواصلة، وأن الكسل ليس من سنن الله في خلقه، وإنما هو انحراف عن الفطرة.

فكما أن النَّهر لا يتوقف عن الجريان، وأن الشَّمس لا تكف عن الإشراق، وأن الخلية لا تكف عن الانقسام من خلل نوعين من الانقسام الخلوي، وهما المتساوي أو الاختزالي، فكذلك يجب على الإنسان أن يكون جزءًا من هذا النسيج الحي، ساعيًا متحركًا عاملًا، منتجًا، نافعًا، ليكون منسجمًا مع نواميس الله وسننه في الكون والحياة... وصدق الله القائل: (...كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ..) (النور: ٤١)، وفي ذلك إشارة بليغة إلى أن الكون كلّه يسير وفق نظام دقيق متناغم...

تلازم النظام والانتظام:

لابد للسعي والعمل من نظام وانتظام، فإذا افتقد العملُ النظامَ والانتظام ضاعت ثمرته، وخمد أثره... وليس كل عمل يرضاه الله (عز وجل)، إنما العمل الصالح المصحوب بالنية الصادقة والإخلاص هو الأرجى بالقبول عنده سبحانه... والعمل الصالح مفهوم واسع شاسع يشمل سعينا الشريف في طلب الرزق، ومحاربة الفساد، ومجابهة الإفساد، وبذل النصيحة، وإقامة الصلاة بمعانيها ومفهومها الشامل، وأداء الزكاة بمعناها الواسع، وصيام رمضان، وحج بيت الله الحرام وشتى العبادات بمفاهيمها ومقاصدها الإيمانية والتربوية والإصلاحية.

نسأل الله أن يوفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيه ويرضي به عنّا، ويجعل حياتنا في طاعته ومعيته، ونظامنا انعكاسًا لسننه المحكمة في الكون والحياة يا رب.

العمل في الإسلام: رسالة وعبادة وعمارة وجهاد

لقد خلق اللهُ (سبحانه وتعالى) الإنسانَ لغايات عظيمة، وهي:

- عبادة الرحمن
- وعمارة الأكوان
- ورعاية الإنسان

وجعل من وسائل تحقيقها أن يُعمِّر الإنسانُ الأرضَ بالخير، ويسعى فيها ويبدع، ويعمل عملاً بانيًا ساميًا نافعًا رافعًا له ولغيره وللمجتمع.

والعمل في الإسلام ليس مجرد وسيلة للكسب والعيش، بل هو ركن ركين من أركان الحياة... وعماد من أعمدتها الراسخة، فلا تستقيم حياة الأفراد، والأسر، ولا تنهض الدول والأمم والحضارات إلا به.

فالحياة بلا عمل كأرض بلا ماء ولا شجر ولا ثمر... قاحلة، جدباء، جرداء، غبراء، بوراء، حرشاء[١] عذراء [٢].

والكسل في الحياة كالصدأ، يأكل الحديد ويُضعفه، فلا يَبقى من القوة إلا قليل ..

ولقد جاءت الأديان السماوية لتحث على العمل، وأكد الإسلام الحنيف على العمل، وحارب الكسل والبطالة، ودعا إلى إتقان العمل، وغرس في النفوس قيم الهمة والعزيمة والإباء والجد والبراعة وتجويد الأداء وتطويره وبذل غاية الجهد للإبداع المستدام؛ لأنه سرّ النماء، وسبيل الرقي والمجد والعِزة، وربط النبي العظيم (ﷺ) هذه القيم العظيمة بالبُعد الديني، والقيمة –كما نقول دائما– عندما تستمد قداستها من العمق الديني، فإن حرية ممارستها تنبعث من أقوى المشاعر تأثيرًا في حياة الإنسان، وجعل النبي الحكيم أيضا إتقان العمل وتحسينه وتجويده من أسباب محبة الله للإنسان.

تأملوا –أيها السادة– كيف جاء القرآن العظيم؛ ليؤكد على ديمومة السعي؟، فجعل الأرضَ –بسهولها وجبالها، بحارها وبرها، بما فيها ومَن فيها– ذلولًا، ميسرةً، مُسَخَّرةً، مُطوَّعةً، مُهيَّأةً، للإنسان، لا لتكون فراشًا للكسالى، كلا. إنها ميدان للساعين ومسرح للعاملين، قال سبحانه: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥). وإذا كان الله (تعالى) قد ذلل لنا الأرض، فإنه أيضًا قد ذلل لنا السماء، والبحار، والجبال، والأشجار...إلخ

وانظروا كيف جمع بين عمارة الأرض، وعمارة القلوب، فقال جل شأنه: (...هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) (هود: ٦١).

قوموا إلى العمل كما قمتم إلى الصلاة:

العمل في الإسلام جهاد مستدام، وعبادة لا تنقطع، لا يحدها موسم ولا يقطعها زمان.

ومن بديع بلاغة القرآن العظيم أن الله (سبحانه وتعالى) اختار يوم الجمعة –الذي يتخذه المسلمون يوم عطلة– اختاره الله ليجعله موعدًا لتجديد السعي بقوة وهمة ونشاط وإسراع دون إبطاء... وهنا يأتي النداء والتوجيه لكل مسلم فإذا فرغت من صلاة الجماعة، وامتلأ قلبك بذكر الله، وخرجت إلى دنياك وأنت مشحون بطاقةٍ من السكينة والطمأنينة والبركة... عندئذ يأتي السعي والانتشار والكدّ والكدح والنشاط... قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠).

من قطرات العرق تنبت سنابل العز والمجد:

والعمل في الإسلام واسع الميدان، لا يقتصر على مهنة معينة أو حِرفة دون أخرى، ولا على طبقة من الناس دون غيرها، فالمجتمع المسلم في شرق الأرض وغربها، في شمالها وجنوبها، في طولها وعَرضها وعمقها، كالجسد الواحد: فالطبيب يعالج الأبدان، والفقيه يداوي المشكلات، والمهندس يُشيد العمران، والمزارع يزرع النباتات، والمعلم يزرع العلم والبحث والفكر.. إنها لبنات متكاملة متشابكة، إذا نقصت واحدة اختل البنيان.

انتبهوا لهذا البيان القرآني:

ومن روائع البيان القرآني أن الله (سبحانه وتعالى)، بعد أن عرض لنا في سورة فاطر، طائفة من آياته الكونية البديعة، التي تجري وفق نواميسه المحكمة منذ آلاف السنين، ختم ذلك بقوله (جلَّ وعلا): (...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ..) (فاطر: ٢٨) ، وهنا يلفتنا القرآن العظيم إلى أن العلماء المقصودين هم كل من أوتي علمًا نافعًا

---

(١) خشنة.

(٢) أرض لم تُزرع من قبل، وتأتي أحيانًا بمعنى خالية.

يقوده إلى الإيمان ومعرفة عظمة الخالق وخشيته، فلا تقتصر الخشية على علماء الشريعة وحدهم، بل تشمل علماء الفلك والطب والفيزياء والكيمياء والزراعة والتجارة وسائر التخصصات النافعة. فدوائر العلوم متصلة متكاملة، وكل علم منها يفتح بابًا لمعرفة الله وتعظيمه، ويُسهم في عمارة الأرض وفق منهجه سبحانه.

بلّغوا عن الله وبرعوا في أعمالهم ومهنهم

مهن أنبياء اللّه عليهم السلام

النبوة اصطفاء وكرامة إلهية كبرى للأنبياء، وهي مهمة عظيمة. وأنبياء الله ورسله لم يمنعهم تكليفهم بالنبوة والرسالة من ممارسة الأعمال الشريفة، وهي رسالة لنا للاجتهاد في عمارة الأرض والحياة.

سيدنا آدم (عليه السلام) – الزراعة

كان سيدنا آدم (عليه السلام) أول إنسان على وجه البسيطة، يضع يده في تراب الأرض؛ ليزرع، ويرعى، ويحصد، ويأكل من كد يمينه وعرق جبينه، ويطعم غيره، فهو أول من علمه الله الحرث والزرع بعد أن أنزله إلى الأرض.

سيدنا نوح (عليه السلام) – النجارة وصناعة السفن

حين جاء أمر الله (تعالى) ببناء السفينة، كان سيدنا نوح عليه (السلام نجارًا)، وعلمه الله صناعة السفينة بأمره وتحت رعايته ووحيه وتوجيهه، قال تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...) (هود: ٣٧).

لم يكن الأمر مجرد صناعة مركب كبير من خشب، وإنما كان مشروع نجاة لأمته.

سيدنا الخليل إبراهيم (عليه السلام) – التجارة ورعي الماشية

اشتغل خليل الرحمن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) برعي الغنم والتجارة، وكان كريم اليد مضيافًا، يكرم ضيفه باللحم واللبن وغيرهما.

وفي الحديث الصحيح يقول النبي (ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ، فقالَ أصْحابُهُ: وأَنْتَ؟ فقالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أرْعاها علَى قَراريطَ لأهْلِ مَكَّةَ) [٣].

ومَن رعى الغنم تعلّم الصبر، والرحمة، واليقظة، والتواضع، والحِلم... ومن مارس التجارة السليمة تعلّم الأمانة، والوفاء، وحُسن المعاملة، والصبر والصدق ومحبة الناس، وهي صفات مَن يريد الفوز في الحياة وبعد الممات.

سيدنا إدريس (عليه السلام) - اشتهر بعملين أساسيين

قيل بأنه كان خياطًا، وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكان نبيًّا معلمًا، علّم الناس الكتابة والحساب وصناعة بعض الأدوات التي يستخدمها الناس في حياتهم .

سيدنا داود (عليه السلام) – الحدادة وصناعة الدروع

لم يكتف سيدنا داود (عليه السلام) بكونه ملكًا ونبيًّا؛ بل عمل بيده في صناعة الدروع، لقد أبدعها من الحديد الذي ألانه الله له لحماية المقاتلين، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سبأ: ١٠-١١) ، وقال تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء: ٨٠).

ويا له من عمل مهم وصعب وشاق يقوم به ملك نبي في رسالة واضحة لضرورة الإبداع في حماية الناس وتطوير الصناعات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

سيدنا سليمان (عليه السلام) – إدارة الحكم والبناء

ورث سيدنا سليمان ملكًا واسعًا، لكنه لم يتكبر على السعي العمل والإشراف بنفسه على المشاريع العظيمة، من المحاريب والقصور إلى الأدوات الضخمة. قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) (سبأ: ١٢-١٣).

سيدنا موسى (عليه السلام) – الرعي

عمل سيدنا موسى (عليه السلام) راعيًا للغنم في مدين لسنوات، كسب فيها رزقه بيده. يقول تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) لموسى: (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (القصص: ٢٧). فكان هذا العمل مدرسة في الصبر قبل مواجهة تحديات الرسالة.

سيدنا محمد (ﷺ) – الرعي والتجارة

رعى النبي (ﷺ) الغنم في صغره، وتاجر في شبابه، وعُرف بين قومه بالصادق الأمين، حتى اختارته السيدة خديجة (رضى الله عنها) لإدارة تجارتها.

ومن خلال عمله، علّم الأمة أن الأمانة والصدق والصبر والحلم والقناعة بركة في الرزق ورفعة في القدر.

ونتعلم من مهن السادة الأنبياء (عليهم السلام) أن العمل شرف لا ينقص من قدر الإنسان البتة، فالأنبياء عملوا بأيديهم مع النبوة، في مهن متنوعة مثل: الزراعة، الرعي، الصناعة، التجارة، الإدارة،... وغيرها، وأن الجمع بين العبادة والسعي سمة المؤمنين، وأن التواضع في العمل قيمة عليا، فمهما علت المنزلة، يبقى الإنسان محتاجًا للكسب بيده.

فعن المقدام بن معدي كرب (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ)، قال: (ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعامًا قَطُّ، خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ عليه السَّلامُ، كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ) [٤].

ما السعي؟

السعي في اللغة هو المضيُّ في الأمر، وبذل الجهد والمثابرة فيه، ويُقال: سعى يسعى سعيًا إذا مشى مسرعًا نحو غاية يريدها. والسعي أعمق من مجرد الخطو بالأقدام، فهو إرادة، وانطلاق، وبذل الوسع في سبيل بلوغ هدف محدد.

أما في الاصطلاح الشرعي، فالسعي هو بذل الجهد القلبي والفكري والبدني لتحقيق غاية مشروعة ترضى الله تعالى. فهو يجمع بين النية التي تحرك القلب، والفكر الذي يرسم الطريق، والعمل الذي يسير بالإنسان نحو الهدف.

أنواع السعي:

ولذلك كان السعي في القرآن الكريم كلمة جامعة، وردت في سياقات متنوعة، منها:

السعي إلى الخير: قال تعالى: (فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ)(الجمعة: ٩)، وهو أمر يحفز المسلم على المسارعة إلى مجالس العبادة والطاعة.

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

السعي في طلب الرزق: قال سبحانه: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة: ١٠).

قصة وعبرة.. أخُوك أعْبَدُ مِنْك!:

رى سيدنا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ثَلَاثَةَ نَفَرٍ فِي الْمَسْجِدِ مُنْقَطِعِينَ لِلْعِبَادَةِ.

فَسَأَلَ أَحَدَهُمْ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ؟

فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ، وَهُوَ يَأْتِينِي بِرِزْقِي كَيْفَ شَاءَ.

فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى الثَّانِي، فَسَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَهُ أَخًا يَحْتَطِبُ فِي الْجَبَلِ فَيَبِيعُ مَا يَحْتَطِبُهُ فَيَأْكُلُ مِنْهُ وَيَأْتِيه بِكِفَايَتِهِ فَقَالَ لَهُ: أَخُوك أَعْبَدُ مِنْك.

ثُمَّ أَتَى الثَّالِثَ فَسَأَلَهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ يَرَوْنِي، فَيَأْتُونِي بِكِفَايَتِي، فَضَرَبَهُ بِالدِّرَّةِ، وَقَالَ لَهُ اُخْرُجْ إِلَى السُّوقِ، أَوْ كَمَا قَالَ (٥).

السعي في العبادة البدنية والروحية: كالسعى بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، الذي يجمع بين ذكر الله ومجاهدة النفس، وهو تذكير بموقف السيدة هاجر عليها السلام وهى تسعى بين الجبلين تبحث عن الماء لابنها إسماعيل، فيستجيب الله لها ويفجر زمزم تحت قدميه.

السعي على الأرملة والمسكين: يقول النبي (ﷺ) : (السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أو القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ) (٦) .

السعي في قضاء حوائج الناس: فالعمل الصالح لا يقتصر على المال فحسب؛ بل إن التطوع في قضاء حوائج الناس ، من أنواع السعى العظيمة لاسيما إذا كان خالصًا لوجه الله. يقول النبي (ﷺ): (أحَبُّ الناس إلى اللهِ أنْفعُهُمْ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تَكشِفُ عنهُ كُربةً، أو تقضِي عنهُ دَيْنًا، أو تَطرُدَ عنهُ جُوعًا...) (٧)، وقال (ﷺ): (مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ) (٨).

وهناك السعي في الفساد والإفساد والعياذ بالله: وهو السعى المذموم الذي حذر الله منه، كما قال سبحانه: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (المائدة: ٣٣). فالفساد له أيضًا حركة وسعى، لكن في اتجاه الشر والعياذ بالله.

قاعدة حاسمة:

ويقرر القرآن قاعدة حاسمة في قوله تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ) (النجم: ٣٩)، أي أن ما يبلغه الإنسان في دنياه وآخرته هو ثمرة جهده وسعيه، لا جهد غيره.

---

(٥) ابن الحاج: المدخل– عن الشبكة.

(٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط – حسن.

(٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

وقد جسد النبي (ﷺ) هذا المعنى في قوله: (احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ) [٩]، ليجمع بين السعي العملي والتوكل القلبي.

وفي عصرنا، رأينا بأم أعيننا بعض العمال البسطاء بدأوا من الصفر، لكنهم واصل السعي بجد واجتهاد حتى حققوا إنجازات عظيمة، ورأينا كثيرا من أسيادنا أصحاب البصائر، تحدوا العمى وواصلوا السعي والجهد فوصلوا إلى أعلى المراتب وحفروا أسمائهم في سجلات التاريخ الشريف، ليصدق فيهم قول الشاعر:

ومن يتهيب صعود الجبال *** يعش أبد الدهر بين الحفر.

وما العمل؟

العمل في اللغة هو الفعل المقصود، أو النشاط الذي يقوم به الإنسان عن إرادة واختيار، بخلاف ما يصدر عن المرء بلا وعي أو قصد. وهو فعل مقترن بالنية، يستند إلى إرادة واعية.

أما في الاصطلاح الشرعي، فالعمل هو كل فعل يقوم به الإنسان مختارًا، سواء كان قولًا أو فعلًا، قلبًا أو لسانًا أو جارحة، بقصد تحقيق غاية مشروعة.

فالصلاة عمل، والتجارة عمل، وتربية الأولاد عمل، وخدمة الناس عمل، وحتى الابتسامة التي تدخل السرور على قلب مسلم هي عمل، بل عمل صالح يؤجر عليه صاحبها.

وقد كرّم الله (تعالى) العمل في القرآن الكريم العمل، وربطه بالجزاء والثواب، فقال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (التوبة: ١٠٥). وقال: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) (الزلزلة: ٧).

وفي السنة النبوية، جعل النبي (ﷺ):

- **العمل عبادة إذا صلحت النية**، فقال (ﷺ) : (إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا عملَ أحدُكمْ عملًا أنْ يتقنَهُ) [١٠] .
- **واليد العاملة يد مباركة**: يحبها الله ورسوله.

ماذا يفعل الموظف إذا فرغ من جميع تكليفاته وبقي لديه وقت فراغ خلال ساعات الدوام الرسمي؟

الوقت من أغلى ما يملك الإنسان، وهو من أعظم النعم والأمانات التي سيُسأل عنها يوم القيامة، كما قال (ﷺ): (لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن:

- عُمُره؛ فيمَ أفناه؟
- وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟
- وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيمَ أنفَقَه؟
- وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟) [١١].

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٠) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير
(١١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

عجبٌ عُجاب!!

وقد رأينا في بعض الأعمال الدرامية -وربما عبَّرت عن واقع- مَشاهد لبعض السيدات الموظفات، يأخذن معهن في أروقة العمل بعض أصناف الخضار؛ لتجهيزها في أوقات العمل؛ فسيدة تُقمّع البامية وتجهزها للطبخ، وثانية تحفر الباذنجان استعدادًا لحشوه لزوجها المصون، وثالثة تقطع القلقاس وتهيئته للطهي للتو عند عودتها إلى المنزل!!، ورابعة تنهمك في غزل وحياكة قميص من الصوف بالتريكو، بألوان زاهية وحبكات متقنة، لتقدمه هديةً لحفيدها في عيد ميلاده الذي يحل بعد عدة أشهر!!.

والمشهد كله يجري في وقت العمل، وكأن ساعات الدوام (العمل) فسحة منزلية، بينما المهام الوظيفية مؤجلة إلى إشعار آخر!.

إن الموظف الأمين يدرك أن ساعات الدوام ملك لجهة العمل التي يتقاضى منها أجره وراتبه، فلا يضيعها في اللهو، أو اللعب، أو المحادثات الهاتفية، أو المحادثات الرقْمية **Online Chats**، أو الانشغال بأمور شخصية، بل إن عليه أن يستثمر وقت العمل فيما يعود بالنفع على وطنه، وعلى مؤسسته، ووعلى نفسه مهنيًّا.

ومن صور توظيف وقت الفراغ أثناء الدوام في العمل ما يلي:

أولًا: استثمار وقت الفراغ في مساعدة الآخرين

ومن ذلك مساندة الزملاء ومساعدتهم في إنجاز مهامهم، خصوصًا عند ضغط العمل أو غياب أحدهم. وأيضا بذل الخبرات للآخرين، أو الإسهام في تدريب الموظفين الجدد، مما يعزز روح الفريق ويقوي العلاقات المهنية، أو القيام بأعمال بعض الزملاء الذين حالت ظروفهم الطارئة دون الحضور لمقار العمل، وهكذا... يقول النبي (ﷺ) : (... وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ) [١٢].

ثانيا: تطوير الذات والمهارات لتعظيم مهارات العمل بشكل مستدام

وذلك من خلال استغلال وقت الفراغ خلال الدوام الرسمي، في الاطلاع على كل جديد في المجال، أو فيما يرقي أداء المؤسسة، والحصول على دورات تدريبية عبر الإنترنت، وهناك عدد كبير جدًّا من الدورات المجانية في شتى المجالات، إضافة إلى مطالعة الدراسات العلمية، والبحوث، ونتائج الرسائل العلمية، والمقالات المهنية المرتبطة بطبيعة العمل.

إضافة إلى تعلّم برامج، ومهارات، وأدوات، وتطبيقات جديدة تُسهم في تسريع الأداء، ورفع جودته، وزيادة إنتاجيته، وتحقيق رضا العملاء، وتعظيم الاستفادة والإفادة من كل وحدة زمنية من الوقت الرسمي للعمل...فضلًا عن تطوير مهارات التواصل أو القيادة إذا كانت ذات صلة بالمجال.

ثالثا: تحسين وتنظيم بيئة العمل

في ظل التطور الهائل الذي يشهده العالم في شتى مجالات الحياة، لم يعد تنظيم بيئة العمل رفاهية، بل أصبح ضرورة ملحّة؛ لرفع الكفاءة، وتسريع وتيرة العمل المتقن والإنجاز.

(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

ويأتي في مقدمة ذلك التخلص من العشوائية والفوضى في الملفات والبيانات، سواء أكانت ورقية أم إلكترونية، بما يسهّل الرجوع إليها فور الحاجة.

ويشمل تحسين بيئة العمل أيضًا المراجعة الدورية للإنجازات السابقة وتحليلها بدقة، واستخلاص الدروس المستفادة، ووضع خطط عملية قابلة للتحقيق والتطبيق لمعالجة أي أخطاء أو قصور.

كما يتطلب الأمر تحديث قواعد البيانات والأرشيف بانتظام؛ لضمان دقة المعلومات وشمولها، مما يوفر الوقت والجهد، ويدعم اتخاذ قرارات سليمة مبنية على بيانات موثوقة.

مع السعي الدائم لترسيخ ثقافة تناقل الخبرات وتبادلها بين الأجيال والعاملين على نحو مستدام، وبما يعزز العلاقات الإنسانية الطيبة، والإبداع، ويحافظ على تراكم المعرفة وتنميتها داخل المؤسسة..

رابعًا: الابتكار واقتراح التحسينات

الابتكار يفتح آفاقًا رحبة للتطوير والتحديث والارتقاء بمنظومة العمل ويفيد قطاعات في الحياة، ويمنح العمل قيمة نوعية مضافة ترفع من شأن المؤسسة، وتعزز قدرتها على التميز والمنافسة.

إنه القوة التي تحوّل الأفكار إلى إنجازات ملموسة، تسهم في تقدم الفرد، وازدهار المجتمع، وتدفع بعجلة التنمية إلى الأمام.

"مسمار الفيشر" مثال بسيط للابتكار الذي أفاد العالم:

ويكفي أن نتأمل مثالًا بسيطًا لكنه بالغ الأثر والدلالة على أهمية الابتكار مهما صغر:

المخترع الألماني آرثر فيشر، الذي ابتكر في خمسينيات القرن العشرين "المسمار البلاستيكي" الذي يُدق في الحوائط (Fischer Plug) لتثبيت الأشياء في الأسقف أو الحوائط.

كان ابتكارًا صغير الحجم، لكنه غيّر عالم البناء والديكور، وانتشر في كل بيت تقريبًا على وجه الأرض. هذا الاختراع البسيط أسهم في تحسين دخل بلاده، ووفّر آلاف فرص العمل، وعاد بعوائد اقتصادية هائلة؛ لأنه قدّم حلا عمليًّا ممتازا وملهما لمشكلة يومية بطريقة سهلة ورخيصة.

ومن هذا النموذج ندرك أن الابتكار لا يشترط أن يكون ضخمًا أو معقدًا؛ بل يكفي أن يكون عمليًّا وحياتيا وذا فائدة واضحة.

ويمكن لأي مؤسسة أن تغرس ثقافة الابتكار عبر تشجيع تقديم الأفكار والمقترحات التي تطوّر الأداء، وتقلّل التكاليف، وترفع الكفاءة، وتبتكر حلولًا للمشكلات المتكررة.

كما يمكن إعداد أدلة وإجراءات تسهّل على الزملاء أداء مهامهم، وتوثيق الملاحظات التي تفيد في الأعمال أو الاجتماعات أو في وضع الخطط المستقبلية، بحيث يصبح التفكير الإبداعي سلوكًا يوميًّا وثقافة في مؤسساتنا لا حدثًا عابرًا.

خامسا: لمسة روحية وأخلاقية (استشعار أن الوقت أمانة)

إن استشعار أن الوقت أمانة بين يديك، وأن أنفاسك الموقوتة هي وديعة من الله في عنقك، والحرص على عدم خيانتها، يعد جزءًا أصيلًا من الإخلاص له سبحانه.

ومن ثم يجب أن نوقن تمام اليقين أن الوقت يمر ولا يعود.. إنه كالنهر الجاري الذي لا يعود، وكل لحظة ستسأل عنهايقول تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: ٨).

وهكذا، فإن الموظف المثالي والأمين لا يُقاس فقط بإنجازه للمطلوب منه، بل بكيفية استثماره للوقت المتبقي في خدمة العمل وتطوير نفسه. فالفراغ إذًا ليس للهب واللهو بل فرصة للتميّز لا مبرر للتقاعس، ووقت العمل ثمين وأمانة لا يجوز إضاعتها. فالاستفادة من وقت الفراغ أثناء الدوام ليست رفاهية، بل واجب مهني وأخلاقي، يضمن رفع كفاءة الموظف والمؤسسة معًا.

عتاب وتنويه وتنبيه:

إنني أعتب أشد العتاب على أولئك الموظفين الذين يذهبون للصلاة في وقت العمل، فيتهيأون لها قبل موعدها بكثير وربما بساعة، ثم يمكثون بعد أدائها نصف ساعة على سجادة الصلاة، بينما أمامهم طوابير طويلة من الناس، في حر شديد وزحام خانق، جاءوا من كل مكان لإنجاز معاملاتهم، في انتظار "السيد الأستاذ" حتى يفرغ من صلاته التي –بهذا السلوك– أضاع بها الأمانة!!.

نعم، صلّ في عملك، وأدِّ شعائر ربك بخشوع، لكن في دقائق معدودة، ثم عد إلى عملك لتقضى حوائج الناس، فذلك أتمّ للأمانة وأقرب لمرضاة الله..

عُد أيها المؤظف إلى مهامك بوجه بشوش وصبوح... هكذا يكون المؤمن الحق، وهكذا يكون المصلّى الحق، الذي يجمع بين عبادة ربه وأداء حق العباد...

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/